Issue 6421 Tuesday 6/8/2019
الزمان – السنة الثانية والعشرون العدد 6421 الثلاثاء 5 من ذي القعدة 1440 هـ 6 من آب (أغسطس) 2019 م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/22. UK

لقاء مثير مع السفير الإيراني

الرئيس عارف يرفض التدخل الإيراني:

شيعة العراق عرب أقحاح، يرفضون الوصاية

محسن حسين
لبنان

صبحي عبد الحميد

ابراهيم الولي

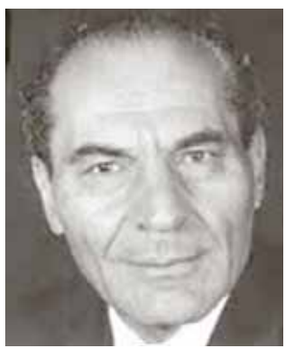
هاشم حكيمي

عبد السلام عارف

السفير بيراسته

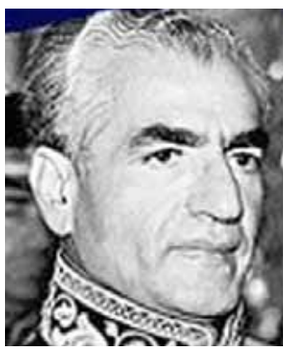
شاه ايران

من بين الحوادث المهمة التي شهدتها في عملي الصحفي ذلك اللقاء المثير بين رئيس الجمهورية عبد السلام عارف والسفير الايراني مهدي بيراسته. كان ذلك في نيسان 1964 ذهبت الى القصر الجمهوري لاحضر بصفتي الصحفية امثل وكالة الانباء العراقية (واع) في مراسم تقديم اوراق اعتماد السفير الايراني الدكتور مهدي بيراسته الى الرئيس عبد السلام عارف. كان بيراسته وزيرا للداخلية في بلاده قبل تعيينه سفيرا لايران في العراق وعرف عنه انه مقرب من شاه ايران محمد رضا بهلوي. في القاعة التي تقدم فيها اوراق اعتماد السفراء كان وزير الخارجية صبحي عبد الحميد ورئيس التشريفات في رئاسة الجمهورية إبراهيم الولي. وقبل ان اصف ماحدث امامي اشير الى ان روايات عديدة نشرت حول ما حدث ابرزها روايات الذين عاشوها ومنهم وزير الخارجية انذاك صبحي عبد الحميد ورئيس التشريفات في رئاسة الجمهورية ابراهيم الولي في مذكراته ومستشار السفارة الايرانية هاشم حكيمي، في مذكراته الشخصية لكن اخرين نشروا روايات عجيبة عن الذي حدث منها مثلا: أن الرئيس "عبدالسلام عارف "قد قذف وابلاً من الشتائم على "شاهنشاه إيران "وسفيره الجديد نازعاً حذاءه وضارباً إياه وراكضاً خلفه حتى أخرجه من القصر الجمهوري، قبل طرده من العراق.

مخالفات للبروتوكول

مثل هذه الروايات غير المعقولة غير صحيحة وحسب ما شاهدته وما سمعته في ذلك اليوم فقد وقف السفير امام رئيس الجمهورية وهو يبحث في اوراق حقيبة كان يحملها فلاحظ الرئيس ذلك وقال ساخرا :– "يبدو أن السيد السفير قد نسي شيئاً لم يجلبه "وعندها إستدرك بيراسته الموقف فأسرع بإخراج أوراق إعتماده التي يجب أن يقدمها بيديه قبل أي شيء آخر، حتى وجه الرئيس كلامه إلى رئيس تشريفات الرئاسة بقوله:– "كان يجب أن يُلَقَّن السيد السفير بعضاً من أسس البروتوكول الضرورية ."كان بصحبة السفير عدد من اعضاء السفارة الايرانية ابرزهم المستشار هاشم حكيمي الذي كان يشغل منصب القائم بالاعمال الإيراني اكثر من سنة والملحق العسكري العقيد معصومي، ومترجم.

وحسب مذكرات حكيمي فانه قبل المقابلة ابلغ السفير انه لا يجوز ان يحمل حقيبة في حفل تقديم اوراق الاعتماد لكن السفير اصر على ذلك. وبعد ان قدم اوراق اعتماده للسفير اخرج اوراقا من حقيبته الدبلوماسية الكبيرة التي كان يحملها –على غير العادة المتبعة– وبدا يقرا كلمة مطولة خلافا للبروتوكول الى ان قال في تلك الكلمة العبارة التي كهربت الجو.

قال السفير "أن جلالة الشاهنشاه محمد رضا بهلوي المعظم يرفع إليك أسمى آيات السلام يا فخامة الرئيس ويأمل منك الحرص على شيعة العراق!!"

عارف للسفير: أرفض أوراق إعتمادك

انزعج الرئيس جدا وقال له على الفور بلهجة حادة " قف عند حدك. شيعة العراق عرب أقحاح، وهم مواطنونا وأهلنا وأعزاؤنا وفي قلوبنا، وليسوا بحاجة لكائن من كان ليصبح وصياً عليهم... وهذا الذي تفوهت به أعده تدخلاً في شؤوننا الداخلية لا نقبله من أحد... لذلك أرفض أوراق إعتمادك، فإستلمها وأخرج، وبلغ سلامي لشاهنشاهك ليبعث إلينا سفيراً أكثر أدباً وأصولاً. إنتهت المقابلة.

وقبل ان يخرج الرئيس من القاعة اذكر جيدا انه طلب من رئيس التشريفات اوراق اعتماد السفير وكتب عليها بخط يده "لا يصلح سفيرا" بعد ذلك اللقاء العاصف بدا السفير يزمجر غاضبا ويطلب اعتذارا رسميا فورا لكن وزير الخارجية ورئيس التشريفات تكلما معه واخذاه الى جانب من القاعة حيث جلس الجميع وابلغوه ان طلبه الاعتذار مستحيل ويقول المستشار الايراني حكيمي في مذكراته (قلت له بأن ما يطالب به هو ضرب من الخيال لأنه لا يمكن لرئيس الدولة أن يعتذر لأي شخص بما ذلك السفراء).

بقي السفير بيراسته في بغداد لمدة اسبوعين وحسب مذكرات الوزير صبحي عبد الحميد فان السفير بيراسته لم تتعرض له السلطات العراقية رغم علمها باتصالاته بالسفارة الأمريكية المتاخمة بمبناها الضخم للقصر الجمهوري واجتماعه بالعديد من موظفي وكالة المخابرات المركزية (C.I.A) داخل السفارة، وذلك قبل أن يعود إلى بلده بسيارة رسمية عبر منفذ "قصر شيرين "الحدودي.

وساطة تركية باكستانية

وبعد 7 اشهر تقريبا ووساطة تركية باكستانية وسفيريهما في بغداد وافق العراق على عودة السفير بيراسته الى بغداد شريطة أن يتصرف بكل أدب بصفته "سفيرا". عاد بيراسته الى بغداد أواخر عام (1964) ليقدم أوراق إعتماده ثانية للرئيس "عبدالسلام عارف "الذي بدوره طلب منه إعتذاراً عن تصرفه السابق وصراخه غير اللائق في أروقة القصر الجمهوري، فقدم السفير الاعتذار وفي حينه فهم المسؤولون العراقيون أن شاهنشاه إيران قد وبّخه حيال ذلك التصرف، لافتاً نظره (أن لكل مقام مقالاً)، وعلى من يتولى منصب السفير أن يكون "دبلوماسياً "قبل أي شيء.

مستطيل بثلاثة أضلاع (1-2)

القشلة منارة بغداد الثقافية

صلاح عبد الرزاق
بغداد

في التاسع من تموز عام 2008 عندما كنت عضواً في مجلس محافظة بغداد زرت إلى مبنى القشلة . كانت مفاجاة أن أشاهد هذا التراث البغدادي نهبا للاهمال والنفايات حتى كادت تسقط بعض أجزائه التاريخية. كانت أدغال النباتات والأشجار بعضها يابسة تملأ المشهد، والأنقاض وبقايا أعمال إنشائية سابقة تتكدس في أركان المكان.

نظرت للساعة وبرجها العالي فكأنها تستنجد بي وتقول: أيها السيد الذي تجشم عناء زيارتي وجاء يتطلع بأسى لما أعانيه، وتتأسف على تراثنا البغدادي الأصيل، جئت إلي رغم أن المسؤولين الآخرين لم يأتوا إلي أو السلام علي. لقد توقفت عن العمل منذ سنين، تعطلت عقاربي عن منح الناس التوقيت، كما تكدس التراب على أجراسي فصمتت ، ولم يعد يسمعني أحد. هل ستأتي يوما لتنفض الغبار عني؟ وتزيل أثواب الاهمال عن برجي الذي يحتضنني منذ أكثر من قرن من السنين؟ سأنتظرك يوما .. هو حلمي.

كانت البناية مغلقة، لا يعرف أحد عن الكارثة التي تتراكم داخل أسوار القشلة. وكنت أتحسر على إهمال هذا المبنى التراثي في قلب بغداد. وصار أملي أن أعيد إليه الحياة في يوم ما.

كانت القشلة مقراً للحكومة في العهد العثماني ثم المملكة العراقية. ففيها كان يقرأ الفرمان السلطاني وبيانات الوالي . وتم فيها تتويج الملك فيصل الأول في 23 آب 1921 في حفل كبير حضره دبلوماسيون أجانب وموظفون وعسكريون بريطانيون من بينهم برسي كوكس والجنرال هالدين والمسز بيل، وسياسيون وشخصيات سياسية ودينية ووجهاء عراقيون.

في 24 حزيران 2011 قمت بزيارة أخرى لأرى هل امتدت إليها يد تنفض الغبار عنها، لكنني فوجئت بأن الحالة المزرية هي المشهد السائد ، وإذا لم نسرع لانقاذه فإنه سينهار ويندثر ، عندها سنفقد أثراً تاريخيا يشكل مرحلة من تاريخ بغداد العريق. خاطبت وزارة السياحة والآثار وطلبت أعمار القشلة لكن الوزارة لم ترد على كتابي.

قررت إدراج تأهيل القشلة في خطة محافظة بغداد لسنة 2012 وعرضت الأمر على الوزير الدكتور لواء سميسم فرحب بالمشروع الذي تموله المحافظة. وبالفعل باشرنا العمل بإشراف دائرة صيانة الآثار التي يرأسها المهندس ظافر التميمي.

القشلة: البناء العثماني التقليدي

إن كلمة قشلة تركية الأصل من كلمة قشلاغ بمعنى أشتى أو (المشتى)، وصارت تطلق على منام الجنود أو المأوى . وتسمى بالحصن أو القلعة. فهي بمثابة ثكنة عسكرية ، تضاف إلى مكاتب وإدارات الحكومة ، وأحيانا تضم منزل الوالي وكبار الموظفين. وهي تشابه في وظيفتها قلعة (القصبة) الأندلسية والتي استخدمت في شمال أفريقيا. وعادة ما يستخدم فيها الطراز المعماري المحلي بعد إجراء تغييرات تضمن الجانب الدفاعي باعتبارها ثكنة عسكرية يستوجب حمايتها من كل الأخطار أو هجمات الأعداء.

ويجري استخدام المواد الانشائية المتوفرة في البيئة المحيطة. فتارة تبنى بالآجر، وتارة بالحجر . كما تستخدم الجص أو النورة كمواد تربط بين أجزاء الجدار. كما يجري تزيينها بزينة بسيطة تتناسب والصرامة العسكرية، عدا بعض المكاتب أو المنازل أو المسجد. كما تتضمن القشلة أبراجاً مرتفعة للمراقبة والرصد المستمر. وتجهز أسوارها أو جدرانها العالية بفتحات ضيقة يمكن من خلالها توجيه السلاح ضد المهاجمين.

يجري اختيار القشلة في موقع طبيعي استراتيجي حيث يتحتم تامين دفاعها في كل الأحوال. لذلك تم اختيار بعض القشلات على تلال أو مرتفعات . أما في بغداد فكانت تتوسط المدينة وعلى جانب النهر ، حيث تتوفر لها عدة منافذ ومخارج.

قشلة أم قشلات

قام العثمانيون بتشييد قشلة لهم في أغلب المدن التي خضعت لسلطتهم . إذ كانت تدار أمور البلدة والمنطقة كلها من خلال القشلة. ولذلك تركوا العديد من القشلات في عدة مدن ودول نذكر منها:

1– قشلة بيروت أو السراي الكبير، وهو صرح أثري عثماني تم بناؤه عام 1840 م . وكان مقراً للولاة العثمانيين. وتحول اسمه من (القشلة) إلى (سراي الولاية) ثم أصبح (السراي الكبير). وفي عام 1865 أمر السلطان عبد العزيز (1861-1876) بتحويله إلى مستشفى فعرف باسم (العيادة العسكرية). وبعد الاحتلال الفرنسي للبنان تحول السراي إلى (محكمة) ، ثم تحول إلى مقر الحاكم الفرنسي أو المفوض السامي، فصار اسمه (المفوضية العليا). وعند استقلال لبنان عام 1943 حوّله الرئيس بشارة الخوري إلى مركز رئاسة الجمهورية لفترة قصيرة. ثم استعمله رياض الصلح مقراً لرئاسة الوزراء . ويعرف كذلك باسم (القصر الحكومي). وهو عبارة عن قصر بعدة طوابق ، مصمم لتوفير أجواء جيدة، وتلبية احتياجات الحاكم وجنوده وموظفيه وضيوفه. إذ يضم قاعات مختلفة الأحجام لمختلف الوظائف، إضافة إلى المكاتب والضيافة والمطبخ والمطعم والاسطبل وغيرها. وهو مبني من الحجر مثل بقية الأبنية في لبنان. وخلال سنوات الحرب اللبنانية (1975-1990) أصيب السراي بأضرار كبيرة نتيجة القذائف التي سقطت عليه والحرائق التي اندلعت فيه وأتت على معظم أجزائه. وفي عام 1990 بدأ تأهيل السراي في عملية ضخمة انتهت عام 1998 مع المحافظة على طابعه التراثي العثماني. وعلقت على مدخله الشمالي لوحة جاء فيها (لو دامت لغيرك لما وصلت إليك). وقد وضعت من قبل رئيس الوزراء اللبناني الراحل رفيق الحريري عندما بدأ إعادة إعمار بيروت بدءاً بالسراي.

2– قشلة صعدة في اليمن ، وهو حصن تاريخي يقع وسط مدينة صعدة.

3– قشلة كويسنجق قرب أربيل ، ويعود تاريخ بنائها إلى أيام المماليك. وتشير مصادر أخرى إلى أنها بنيت في عهد مدحت باشا . وتبلغ مساحتها 2500 متر مربع تتوسطها حديقة. ويحيط بها سور مربع يتضمن في أركانها أربع أبراج دفاعية .

4– قلعة كركوك، وكانت بمثابة المقر العسكري للقوات العثمانية في مدينة كركوك. ويرجع تاريخ بنائها إلى عام 1863 م . تقع القشلة في وسط مدينة كركوك ، ومبنية على تل ارتفاعه 18 متراً عن الأراضي المحيطة بها. وتبلغ مساحتها 24 ألف متر مربع. وكانت تسمى (عزيزية قيشلة سي) . وكانت تضم 73 غرفة، بالإضافة إلى تسع قاعات كبيرة، وسبعة أماكن خاصة . ويتوسطها فناء واسع في وسطه حوض شيد عليه جامع عام 1912 بتبرعات الأهالي.

5– قشلة يافا في فلسطين .

6– قشلة ديريك في سوريا. وتسمى قشلة رغم أنها بنيت من قبل الاحتلال الفرنسي لسوريا. وقد أنشئت على تل مرتفع يطل على ديريك من جهة الشرق. وكانت بمثابة ثكنة عسكرية للجيش الفرنسي والسوريين المنخرطين في صفوفه. شهدت القشلة العديد من الأحداث العسكرية حيث تعرضت إلى متخلف الهجمات والغارات من قبل خصوم الجيش الفرنسي كالأكراد. وتضم مقبرة للقتلى الفرنسيين.

7– قشلة حائل ، وهي قصر عمره 75 عاماً عندما قام بتشييده الملك عبد العزيز عام 1940 م على مساحة 20 ألف متر مربع ، بطول 142 متراً وعرضه 141 متراً، وارتفاعه 10 متر. وباعتبار أنه صمم على غرار القلاع العسكرية العثمانية فقد سمي بالقشلة أيضاً. يضم القصر 83 غرفة في الطابق الأرضي ، و59 غرفة في الطابق الأول. وفي أركانه توجد أربعة أبراج . كما يضم بابين كبيرين. وكان الغرض من البناء هو أن يكون سكناً لحامية عسكرية تشرف على استتباب الأمن في المنطقة. تم استخدامه من قبل الجيش لمدة 15عاماً أي حتى عام 1955 ثم استخدم من قبل الشرطة السعودية لمدة عشرين عاماً أي حتى عام 1975حيث استلمته وكالة الآثار والمتاحف التابعة لوزارة التربية.

قشلة بغداد

وتسمى (قشلة بيادة سي) أي ثكنة الجنود المشاة . تشير المصادر التاريخية إلى أن بناء القشلة الحالية يعود لعام 1851 م في عهد الوالي نامق باشا . وأنها لم تكتمل في عهده، فجاء مدحت باشا وأكملها (1)، وهنا يطرح سؤال: أين كانت الثكنة العسكرية ومقر الحكومة قبل

بناء القشلة في القرن التاسع عشر؟

إن محلة القلعة تقع في الركن الشمالي الغربي من بغداد مجاورة لنهر دجلة (2). وكانت هناك بيوت وموقوفات خارج القلعة. وربما نسبت بعض العائلات مثل (القلعة لي) إليها (3). إن محلة القلعة كانت تقع في موقع وزارة الدفاع الحالية في منطقة باب المعظم. وهناك جامع آخر ضمن المحلة يدعى (جامع المرادية) نسبة إلى الوالي مراد باشا (1569-1570). وكان يحيط القلعة سور ذو أبراج نصف أسطوانية من ثلاث جهات، والنهر من الجهة الغربية.

وتشير الخرائط المتعاقبة لبغداد في العهد العثماني إلى وجود القلعة في الجهة الشمالية بجانب نهر دجلة. وكان سورها الخارجي هو سور بغداد الممتد شمالاً، ولها سور داخلي بينها وبين المدينة .

وفي حوادث سنة 1831 م يرد ذكر (السراي) كمقر للحكومة . فعندما عزم الوالي علي رضا باشا على القضاء على المماليك في مذبحة تشابه ما فعله محمد علي باشا في مصر. إذ دعا المماليك (إلى اجتماع في ديوان الباشا بحجة الاستماع لقراءة الفرمان الذي وصل مؤخراً من اسطنبول. وكان السراي حينذاك قد امتلأت سطوحه وشرفاته وأروقته بالجنود المسلحين) (4).

يقع السراي شمال القشلة وكان مقراً للوالي.

من المرجح أن العثمانيين اتخذوا موقع القشلة الحالي مكاناً لإنشاء قلعة أو قشلة سابقة. وبفعل عوامل الاستعمال والاندثار والحروب والأحوال الجوية، يتعرض البناء إلى الاندراس والانهيار تدريجياً، حتى يأتي من يهدم البناء القديم ويشيد بناء جديداً يدوم عدة عقود. كما توجد مصادر تتحدث عن انهيار بعض الأبنية في موقع القشلة بسبب انجراف أسسها بسبب مياه نهر دجلة. يذكر الباحث عماد عبد السلام أنه (كانت تشغل مكانها الحالي قصور المماليك . وبعد انقراض حكمهم عام 1831 تحولت تلك القصور إلى ثكنات عسكرية. ثم تم تهديم تلك القصور القديمة ، وشيد في أرضها ثكنة كبيرة من طابق واحد عام (5) (1851).

بناء القشلة

بدأ بناء القشلة عام 1851م في عهد الوالي نامق باشا (1851-1852). إذ قام بتشييد العديد من المباني في بغداد. فقد أعاد بناء السراي بعد الخراب الذي لحقه ، إضافة إلى بنائه القشلة. وكانت بناية بطابق واحد.

تشير بعض المصادر إلى أن جزءاً من مبنى القشلة وهو الجزء الذي كان بجانب النهر قد تعرض للسقوط والانجراف. وكان المبنى من طابق واحد لكن تم الاستعاضة عنه بإضافة طابق آخر من قبل مدحت باشا 6).

أكمل الوالي مدحت باشا (1869-1872) البناء من أنقاض سور بغداد من الجهة الشرقية حيث تم هدمه، واستخدم آجر السور في تعمير السراي . كما بنى برجاً عالياً وسطها (7).

يتضح من ذلك بأن أبنية القشلة تمثل أكثر من بناء وأكثر من وظيفة. فهناك (السراي) الذي ما يكون عادة مكتب الوالي العثماني ومسكنه ، ومقر الحكومة والموظفين. وعندما زار بغداد المبعوث الأميركي وليم فوك عام 1874 في عهد الوالي رديف باشا (1873-1875) ذكر أن (الوالي لم يعد يسكن السراي وإنما جعل سكنه في قصر أنيق يبعد ميلين شمال السراي. وذكر أن السراي لم يكن فخماً ، وإنما ذا موقع بديع على شاطئ دجلة حيث يرسو زورق الباشا أمامه. أما القشلة فهي مكونة من بناء ضخم يلاصق السراي ويستوعب عدة آلاف من الجنود)).

التصميم المعماري للقشلة

وهي بناية مستطيلة الشكل بثلاثة أضلاع ، مفتوحة باتجاه النهر. وتشير بعض المصادر أنها كانت ذات شكل مستطيل مثل بقية القلاع والثكنات العثمانية، لكن حدث أن سقط الضلع الغربي المجاور للنهر بسبب الفيضان (8) فأصبح فناؤها مكشوفاً على النهر مباشرة. وتم تعويض ذلك ببناء طابق علوي وبرج عال وساعة كبيرة. ويرجح أن سقوط الضلع النهري كان في الفترة بين إكمال بنائها (أي بعد 185) وبين إضافة الطابق العلوي عام 1869.

تمتد على مساحة واسعة وبأبعاد 50 * 250 مترا. وتتوسطها ساحة داخلية غرست فيها أشجار ونباتات، حتى تصل إلى ضفة النهر حيث تتصل بالمسناة. وهي مبنية بالآجر (الطابوق) والجص. يقع مدخلها الرئيس في وسط ضلعها الشرقي. ولها مدخل آخر يربطها بالزقاق الذي يقع بينها وبين بناية المحاكم القديمة (المركز الثقافي البغدادي حالياً).

تتألف القشلة من طابقين ، تم بناء الأول عند تشييدها في عهد الوالي نامق باشا، وأضاف الوالي مدحت باشا الطابق الآخر فيما بعد. ويمكن ملاحظة الفارق المعماري في واجهة الطابقين . إذ تم تدعيم الجدران الداخلية الطابق الأول بأعمدة نصف أسطوانية مبنية بالآجر وموزعة على مسافات متساوية . ويبدو شكلها إلى شكل الأبراج وأسوار القلاع حيث تبدو قمتها مسننة. أما الأبراج الخارجية فهي موزعة أيضاً على مسافات متساوية وترتفع هذه الأبراج إلى طابق واحد. تتشكل القشلة من قاعات طويلة كانت تستخدم لمنام الجنود . إضافة إلى قاعات وغرف أخرى للضباط وإدارة الثكنة ومستلزماتها الخدمية ومخازن الطعام والأعتدة ومشاجب السلاح وحمامات. وتنفتح واجهة المبنى من خلال رواق طويل مسقف ، وتتصل بالباحة الداخلية مباشرة. أما الرواق الفوقاني فهو أشبه بشرفة مسقفة طويلة تتخللها أعمدة ، وسياج الشرفة يطل على الباحة الداخلية. وتبدو شبابيك القاعات وأبوابها على الرواق. يمتاز مبنى القشلة بخلوه من أية زخرفة أو مقرنصات عربية أو نقوش إسلامية مما يستخدم عادة في الأبنية العثمانية في أسطنبول كالقصور والمساجد وحتى محطات القطارات والأسواق.

بعد جلاء القوات العثمانية ودخول القوات البريطانية بغداد عام 1917 تم اتخاذ القشلة مكاناً لسكن الضباط البريطانيين وأسرهم. كما استخدم بيت الوالي مسكناً خاصاً للمندوب السامي البريطاني، ثم استخدم سجناً للمعارضين السياسيين. في عهد الدولة العراقية الحديثة تم تتويج الملك فيصل الأول بتاريخ 23آب 1921 في حدائق القشلة وأمام برج الساعة. ثم شغلت هذا المبنى عدة مؤسسات حكومية مثل مجلس الوزراء، وزارة الداخلية، وزارة التربية، وزارة الخارجية، وزارة العدل، ودائرة البريد ثم أخلي المبنى في ثمانينات القرن العشرين.

الحاشية

1– عباس بن جواد بن رجب البغدادي / نيل المراد في أحوال العراق وبغداد/ تحقيق عبد الحسين مجيد/ مجلة المورد ، المجلد الثامن، العدد: الرابع ، (ص 552 -525) ص 544

2– أنستاس ماري الكرملي / مزارات بغداد / ص 183

3– عباس العزاوي / تاريخ العراق بين احتلالين / ج 4/ ص 293

4– علي الوردي / لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث / ج / 1 ص 290

5– محمود شكري الآلوسي / أخبار بغداد وما جاورها من البلاد / ص 366

6– محمود شكري الآلوسي / أخبار بغداد وما جاورها من البلاد / ص 366– تحقيق عماد عبد السلام

7– شريف يوسف / تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور / ص 570

8– نوار سامي مهدي / الاحياء في العمارة/ ص 124 دار الشؤون الثقافية، بغداد: 1997.

ساعة: القشلة وساعتها المشهورة ايام الجمعة

فلك الدين كا كه يى

مرت امس الاول، ست سنوات على رحيله، ولم يزل فلك الدين عندي شخصيا، مثال الكاتب المخلص لقلمه، و القلم الكريم لفكره.

اسمه، و ديانته، ووجوده، شكلوا له شخصية، ان شبهناها بالبحر فلن نبالغ، ففلك الدين، يمكن ان تبحر فيه، لكن اكتشاف حدوده و عمقه، ليس باليسير.

قد اكون واحدا من القلة التي عملت معه بشكل مباشر لمدة قصيرة مقارنة بسنوات عمله الطويلة، لكنني اعتقد، انني تفهمت جوانب من شخصيته كاتبا، و انسانا، يختزن كما و نوعا هائلين من الافكار والاعمال، ضاق بوسعها زمانه و قسم من مجتمعه، فكان ان استسلم للزمان، فعدا عليه الزمن بقسوته فمات، وتحول لجسد يواريه التراب، وتلك سنة الله بالبشر، فلا خلود الا له و للعمل و الفكر.

فلك الدين، من طبقة السادة ضمن دينه، وهو مع ذلك، ينظر بزاوية عينه ليكتشف من ذا الذي يناديه بكلمة سيد..

وهو ان تماشى مع اعراف مجتمعيه، الكردي و الديني الكاكايى، فهو ايضا لا يترك الميل للجوانب الانسانية في التعامل مع الجميع، ايا كانت اعراقهم و عقائدهم، حاضرا للاستماع، حاضرا للاستيعاب، حاضرا للرد.

اكتب ذكريات قصيرة عنه، شاهدتها ايام عملي تحت رئاسته تحرير جريدة التاخي، حيث فتح ابوابها للجميع، خبرا، مقابلة، مقالا، صورة، رأيا، فلا مجال في مجال فلك لغلق المجال...

اذا جلس يفحص الاخبار، عملت عيناه كجهاز مسح اليكتروني، وتكاد تسمع حروف كلماته التي تطالب التأكد من المصدر ان رابه خبر" هذا مصدرك محل ثقة؟".

وان جلس ليكتب انقطع عن محيطه، واخذ يصنع دوائر وهمية فوق الورق و سبابته و ابهامه يفتلان شعر حاجب عينه اليسرى...

خلال عمله في التاخي، ببغداد، كان يؤدي دوره بنشاط الصحفي الشاب الذي يسعى لتثبيت مكانه، وعقلية السياسي ذي الاشعاع الصوفي، وهو مع ذلك، كثير التبسم، لطيف الضحكة، حاضر البديهة.

كلفني يوما بحضور مؤتمر الامم المتحدة، والذي بدأ بتفجير راح فيه الى جانب العشرات، سيرجيو دي ميللو، وكنت مرتبطا بموعد قبله مع احد السياسيين العراقيين، و تداخل الموعدان، ولما تحركت لمقر الامم المتحدة كان التفجير قد وقع، ولم اكن ادري، و لا فلك الدين يدري بأنني نجوت بفعل تداخل المواعيد، و لما رجعت لتبليغه بالحدث بعد ان تمكنت من تصوير جانب من التفجير، وجدته، ممتقع اللون خشية، وقال: انت بخير؟ وكانت كلمات حرص الاخ الاكبر تملأ الصدق صدقا...

كان يقطع الطريق بين اربيل و بغداد بسيارته رفقة سائق و حارس واحد، اما ازاد او سيامند، وكانا قريبين اكثر من كونهما حارسين، ولما اهتز الامن على الطريق ذات يوم، ضحك فلك الدين من تحذيرات الخطف و اخرج من حقيبته 200 دولار، وقال لسيامند اذا اعترضونا اعطهم هذه المئتي دولار وقل لهم مع السلامة...

فلك..

كتب للسياسة

كتب للطفل

للمرأة

كتب للعلوم

للزمان والمكان و ما بعدهما.

لكنه ببساطة قسوة الزمان رحل

وبتعقيدات اضطراب الانسان امام الموت، رحل.

التقيته اخر مرة في مؤتمر الحزب قبيل وفاته، وكان غاية في اللطف لا تفارقه الابتسامة و لا يتكاسل عن رد، و تواعدنا للقاء قطعه خبر رحيله.

شامل حمد الله بردان
أربيل

العيد وميركل ويتيم في المنفى

لم يختر محمد منفاه في المانيا وهوبعمر السابعة الان ، لكنه الارهاب والفوضى واللاقانون التي جلبتها اميركا باحتلال العراق وما افرزته من طائفية بغيضة تاجر بها من ركب موجة السياسة بعد الاحتلال ،الذي جعل منه يتيما وهو ما زال في شهره الاول في بطن امه ، فلم يكتب له ان يرى اباه الذي هو الاخر لم يعرف انه ترك نطفة ستكبر ليكون طفلا عراقيا يعاني وجع الغربة في المنفى ومخاطر البحر وهو لم يتجاوز بعد الثالثة او الرابعة من عمره .. لم يختر محمد اليتم ولا الغربة وما زال برغم صغر سنه وذكائه المميز يقول بلغة طفولية بريئة احب العراق واشكر المانيا لانها سمحت لي ان اعيش فيها وادرس برغم انها لم تمنحني الى الان اقامة اسوة باخرين لم يتعرضوا لمتاعب ومخاطر وظروف انسانية صعبة كالتي عانيتها.. ويضيف كنت اتمنى ان يسمح لي ان اقابل المسؤول لاقول له اني لم اكن مخيرا في المجيء الى المانيا ولكني عرفت من والدتي حجم ما كان يتهددنا من مخاطروسمعت منها انكم ملاذنا الامن لكني ومنذ خمس سنوات اعيش مع امي بقلق دائم بسبب عدم منحنا الاقامة .. ويتساءل هل تنصفنا ميركل وتجعلنا نعيش بعضاً من فرحة العيد ؟!

محمد مثل اي طفل اخر يحلم بأب يصطحبه بالعيد لشراء ملابس او ان يصطحبه الى الحدائق العامة والملاعب وكثيرا ما يسأل عن ابيه، غير ان الارهاب وأد احلامه عندما وضعوا عبوة في سيارة أبيه وهو لم يزل في شهر العسل لم يمض على زواجه غير شهر واحد .. وتعرضت والدته في العراق لضغوط كبيرة اضطرتها لاختيار الطريق الصعب وهو الهجرة من خلال البحر بصحبة شقيقها الذي لم يفارقهما .. قصة محمد بكل ما تحمل من وجع ليست الوحيدة فبحسب احصاءات منظمات حقوق انسان دولية فان هنالك ثلاثة ملايين واربعمائة الف مهجر موزعين على 64 دولة .. كما ان هنالك مئات العوائل التي غرقت ولم تصل الى البر في مشاهد مأساوية تتحمل مسؤوليتها الادارة الاميركية التي احتلت العراق وتركته يعيش فوضى وانفلاتاً امنياً وفساداً ودماراً ما زلنا نعاني اثاره الى اليوم .. انها حالة الضرورة التي تدفع البعض لاختيار الهجرة كخلاص من واقعها البائس .

اعتقد ان ذكريات الطفولة تبقى عالقة لذا ففي كل عيد فطر او اضحى اتخيل محمد كما غيره من اليتامى في دول المهجر وهم ،حتى لمن يتمتع بحالة استقرار نسبي و حصل على الاقامة منهم ،يمرون بحالات حنان وشوق الى اماكن عاشوا فيها ومن الصعب عليهم ان ينسوها ..ومهما يبلغ مستوى تطور المعلوماتية ومواقع التواصل الاجتماعي فانها لاتعوض ساعة لقاء عائلي حميمي.. ربما نكون قد فقدنا في العراق وربما في مجتمعاتنا العربية ايضا الكثير من عاداتنا في الاعياد ، لكنها وكما الاحظ تبقى قوية في المهجر ولا اعرف السبب ، ربما لتعويض بعض ما فقدوه ، حيث تحرص العوائل العراقية والعربية على التزاور فيما بينها وتبادل التهاني الذي غادره معظمنا واستعضنا عنه ببطاقات تهنئة من خلال الهاتف النقال ! لكنه يبقى في غير الاحوال يبقى كما يقول الشاعر (باي حال عدت ياعيد)!

اخيراً عيد اضحى مبارك وسعيد لجميع العراقيين وخاصة محمد وكل الايتام وتمنياتي للجميع بالخير والسعادة وعسى ان تجد السيدة ميركل من يترجم مقالنا البسيط فتمنح الفرحة لمحمد عسى ولعل .

طارق الجبوري
بغداد